مجلة الحوار الفكري ISSN: 1112-5144
مجلد: 19 عدد: 01 السنة 2025 EISSN2600-6332

مظاهر التواصل العلمي بين الأندلس والمغرب الأوسط من خلال رحلة القلصادي(840-855هـ/1437-1453م) لأبي الحسن علي البسطي الأندلسي(ت:891هـ).

معلومات المؤلف

- أ.د/ أحمد جلايلي، جامعة أحمد دراية أدرار، التاريخ الوسيط (تاريخ آسيا الوسطى)، djellailiahmed@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الارسال: 2024/12/13 تاريخ القبول: 2025/02/03 تاريخ النشر: 2025/06/11

الملخص:

تعتبر الرحلة المسمات "تمهيد الطالب ومنتهى الرّاغب إلى أعلى المنازل والمناقب" التي ألفها أبي الحسن علي القلصادي من بين المؤلفات التي أرّخت للتواصل العلمي بين المغرب الأوسط والأندلس، حيث أعطانا فكرة جَلِية عن وضع الحياة العلمية في كل من مدينتي: تلمسان ووهران في العصر الوسيط، فقد زار بنفسه المدينتين وأخذ العلم عن علمائها، ودون تراجم الأعلام الذين درس عليهم، كما أشار إلى مؤلفات بعض أساتذته، من بينهم: الفقيه العلامة الكبير محمد بن مرزوق العجيسي والشيخ عيسى الرتيمي ومحمد الشريف، أما شيوخ وهران فمنهم: إمام الجامع الأعظم أبو عثمان سعد الشلوني، والشيخ إبراهيم التازي.

كانت سوق العلوم في تلمسان نشطة لا تقل نشاطاً عن الأندلس أواخر العصر الوسيط. وقد اغتنم صاحب الرحلة مدة مكوثه في تلمسان للتقرب من علماء المدينة والأخذ عنهم، وقد ترك في مؤلفه معلومات قيمة أصبحت مادة يتناقلها العلماء من بعده في الترجمة لعلماء تلمسان، مثل: ابن مريم في البستان وأحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج وغيرهم كثير. لم يقتصر القلصادي على طلب العلم على علماء تلمسان فقط بل تصد كذلك للتدريس ونشر العلم، فأصبح له الكثير من الطلبة وكون له أتباعا، ومن ثم نشطت العلاقات العلمية بين الأندلس وتلمسان.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، القلصادي، علماء، المغرب الأوسط، الأندلس، تلمسان، وهران

Astract

The journey of the student and the most wanted to the top of the houses and niches, written by Abulhassan Ali al-Qalasadi, is one of the works that chronicled the scientific relations between the Middie Maghreb and Andalusia. Lt gave us clear idea of the status of scientific life in both the cities of Tlemcen and Oran in the Middle Ages, He visited the two cities himself and took the flag of the scientists, and on his journey the translations of the flags he studied as he pointed to the writings of some of his professors, and recorded the names of his peers, among thm; Faqih great mark Mohammed bin Marzouk zl-Ajisi, Sheikh lssa al-Ritimi and

Mohmmed Sharif, lmam of the Mosque To the great Abu Osman Saad Al-Shalouni and Sheikh lbrahim Al-Tazi.

The science market in Tlemcen was active and no less active than Andalusia in the late Middle Ages. Al-Qalasadi took advantage of the duration of his stay in Tlemcen to draw closer to the scholars of the city and to take away from them. He left valuable information in his book, which became a material that the scholars then transmitted in translation to Tlemcen scholars such as lbn Maryam in Al Bustan and Ahmed Baba Al-Tanbakti in Neil Al-Tahtaj and many others. Al-Qalasadi did not limit his presence to the city of Tlemcen to the request for Knowleqe about ite scientists but also to the teaching and dissemination of science, he became a lot of students and the fact that he has followers, and then active scientific between Andalusia and Tlemcen.
Mots clés: The Journey, Al-Qalasadi, Scholars, Central Morocco, Andalusia, Tlemcen, and Oran

I المقدمة:

تعتبر رحلة "**تمهيد الطالب ومنتهى الرّاغب إلى أعلى المنازل والمناقب**" التي ألفها أبي الحسن على القلياصي من بين المؤلفات القلائل التي أرخت للعلاقات العلمية المتينة بين بلاد المغرب الأوسط(الجزائر) والأندلس، وتزداد أهمية الرحلة بكونها ألفت في فترة طغى عليها الغموض حول الأوضاع الثقافية والعلمية بالأندلس والمغرب الأوسط خلال حكم دولة بني نصر(بنو الأحمر) بغرناطة (635- 897هـ/1238-1492م)، وقد سد المؤلف ثغرة كانت موجود في هذا الجانب، فهو يعطي فكرة جلية عن وضع المعرفة والعلوم العربية في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي، والشيء المهم أنه أعطانا فكرة جلية عن وضع الحياة العلمية في كل من مدينتي: تلمسان ووهران في العصر الوسيط، كيف لا وقد زار بنفسه المدينتين ونهل العلم من شيوخها وعلمائها، ودَوّن في رحلته تراجم الأعلام الذين دَرس على يدهم وأشار إلى مؤلفات بعضهم، كما ذكر المدارس والكتب المقررة لتدريسها.

إن محتوي الرحلة مهم جدا في ما يتعلق بالعلاقات العلمية بين المغرب الأوسط(الجزائر) والأندلس في العصر الوسيط، خاصة إذا كان المؤلف رَحَالَة وطَالبُ علم أندلسي تنقل بين الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى ومصر والحجاز لطلب العلم، في عصر توالت فيه المآسي والنكبات على بلاد الأندلس، ولكن ذلك لم يثنيه عن السفر قصد اغتراف العلم من المراكز العلمية الإسلامية المشهورة، ولم يتقيد المؤلف بحدود اختصاص ضيق في الميدان العلمي، بل أبدع في مختلف المجالات كالرياضيات والفرائض والتاريخ... وقد أخذ مؤلف الرحلة مختلف العلوم عن الكثير من شيوخ مدينة تلمسان وشيوخ مدينة وهران كما سنوضحه في ثنايا البحث.

سعيت من خلال هذه الورقة البحثية معالجة إشكالية مهمة مفادها ما مدي مساهمة رحلة القلياصي الذي طاف في مختلف الأصقاع مغربها ومشرقها في إعطاء صورة واضحة عن العلاقات العلمية بين الأندلس والمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وكذلك تعريفها بمكانة علماء مدينتي تلمسان ووهران الذين كانت تُشد إليهم الرحال من أجل أخذ العلم والمعرفة، وقد تفوقوا في مختلف المجالات العلمية النقلية منها والعقلية. سيتم معالجة الموضوع في أربعة عناوين أساسية هي: أولا – التعريف بالقلياصي، ثانيا- وصف الرحلة، ثالثا- أخذه العلم عن علماء تلمسان ووهران، رابعا- نشاطه التدريسي بمدينة تلمسان. وتهدف هذه الدراسة العلمية إلى تسليط الضوء على متانة العلاقات بين المغرب الأوسط (الجزائر) والأندلس خصة في المجال العلمي والثقافي.

II - التعريف بالمؤلف:

1- شخصية القلياصي: اسمه الكامل علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي الأندلسي البسطي أبو الحسن الشهير بالقلياصي، ولد في العام 815هـ/1412م بمدينة "بسطة"(Baza) الأندلسية الواقعة في الشمال الشرقي لمدينة غرناطة[1] - بجنوب إسبانيا اليوم- وهي تمتاز بمناخها الجميل وطبيعتها الخلابة وكأنها جنة على الأرض؛ حيث نشأ بها المؤلف وتلقى دراسته الأولى على شيوخ المدينة، أمثال: أبي الحسن علي بن عزيز الذي حفظه القرآن الكريم برواية ورش من قراءة نافع، وأخذ القراءات على المقرئ أبي بكر البيّاز، وتعلم الفقه والفرائض والحساب على أبي أحمد جعفر بن أبي يحي، ودرس علوم اللغة العربية والشريعة والحساب على الشيخ أبي عبد الله محمد القسطرلي، أما الجانب النحوي فتعلمه على أبي الحسن علي اللخمي القرباقي[2].

كما تعلم اللغة العربية كذلك على الفقيه أبي بكر، فقد لقنه عدة كتب في هذا المجال منها: "البّار في العربية" و"منظومة ابن برى" في قراءة نافع، وتعمق في دراسة الفقه وعلم النحو على يد الشيخ محمد بن محمد البيّاني؛ وبعد اكتفائه من شيوخ بلدته سافر إلى مدينة "المنكب" وتعلم النحو على خطيبها أبي عبد الله البجلي، ثم شد الرحال إلى "قرية الموز" من ضواحي المنكب ودرس الفقه مجددا على الشيخ أبي الحسن العامري، بعدها سافر خارج الأندلس إلى مدينة تلمسان[3]، بالمغرب الأوسط ليأخذ العلم عن شيوخها وعلمائها، وسنتطرق إلى ذلك في الصفحات القادمة من البحث.

2- من مؤلفاته: يعتبر القلصادي من بين أكثر علماء الأندلس إنتاجا وتأليفا، فقد اشتهر بتأليفه الغزيرة، وأغلب مؤلفاته كانت تَصُب في مجال علمي الحساب والفرائض، وقد ذُكر في المصادر بأنه صنف أكثر من ثلاثة عشر كتاباً في الحساب، يمكن ذكر منها: كتاب "قانون الحساب" -ألفه في تونس- وشرحه المسمى "كشف الجلباب عن علم الحساب"، وكتاب

[1]- بَسْطَةُ: بمي مدينة مشهورة بالأندلس، تتبع منطقة جيَّان. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج.1، دار صادر، بيروت- لبنان، 1977م، ص 422).

[2]- إبراهيم بن حسن البقاعى(809 -885هـ/1406-1480م): عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق: حسن حبشي، ج.4، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2011م، ص 99،100.

[3]- نفسه، ج.4، ص 100.

"التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد"؛ كما ألف "غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب"، وكتاب: "الأسرار في علم الغبار"، و"شرح تلخيص ابن البناء" و"رسالة ذوات الأسماء" "وشرح الأرجوزة الياسمينية" ومختصره؛ أما مصنفاته في الفرائض فهي: "الضروري في علم المواريث" و"الكليات وشرحه" وكتاب "المستوفي لمسائل الحوفي" وشرح مرتين "الأرجوزة التلمسانية في الفرائض" لأبو إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري(ت:699هـ/1300م)، و"تقريب المواريث" وشرح كذلك "منظومة الشران" و كتب كتاب عنوانه "بغية المبتدي وغنية المنتهي"، وشروح لفرائض مختصر خليل وفرائض التلقين

وفرائض ابن الحاجب وفرائض صالح بن شريف وفرائض أبي القاسم بن الشاط[1].

لا شك أن هذه الكتب ألفها على مراحل وفي أماكن مختلفة، ولا أدل على ذلك أنه صنف في مدينة تونس عندما زارها عدة كتب، منها ما ذكرناه في الأسطر السابقة مثل: كتاب "القانون في الحساب" وكتاب "كشف الجلباب في علم الحساب" في أربعة كتب، وكذلك كتاب "الكليات في الفرائض" وقام بشرحها في أربع كتب. كما ألف كتاب "كراسة" وشرحها في مجلدين ضخمين[2].

من مصنفاته في الفقه كذلك نذكر: "أشرف المسالك إلى مذهب مالك" و"شرح مختصر خليل" و"شرح الرسالة"، و"هداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام"، ومن مصنفاته في النحو: "غنية النحاة وشرحاه" و"شرح على رجز ابن مالك" و"شرح الأجرومية" و"شرح جميل الزجاجي"؛ وفي علم العروض: "مختصر" و"شرح الخزرجية"، أما المنطق فقد ألف فيه: "شرح ايساغوجي"، وصنف في النجوم كتاب: "شرح أرجوزة ابن فتوح"، وفي التصوف ومدح الرسول(صلى): "شرح البردة" و"شرح رجز أبي عمرو بن منظور" قاضي الجماعة في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أما في القراءات والحديث: "شرح رجز بن بري" و"شرح الأنوار السنية لابن جزي"، وله كتاب في "النصيحة في السياسة العامة والخاصة" وألف في علم التراجم: كتاب "الرحلة[3]؛ التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث العلمي.

توفي القلياصي في منتصف ذي الحجة من العام 891هـ الموافق لشهر ديسمبر من العام 1486م، بمدينة "باجة" الإفريقية ودفن على ربوة مرتفعة تشرف على المدينة بجهة المسيد بضاحية سيدي فرج، ولم تذكر المصادر شيء عن سبب وفاته أكان عاديا أم بمرض، في حين يُعتقد بأنه تم اغتياله من قبل بعض العصابات التي كانت تنشط بتلك المناطق معتقدتا بأنه

[1]- أبو الحسن على القلياصي الأندلسي(ت:891هـ/1486م): رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص 40-43.

[2]- إبراهيم بن حسن، المصدر السابق، ص 101.

[3]- القلياصي، المصدر السابق، ص 44-47.

تاجر ثري يحمل معه ثروة طائلة وبذلك لقى مصرعه على أيديهم[1]؛ والأكيد أن هذه الرواية تحتاج إلى مزيدا من البحث والتدقيق.

3- عصره: عاش مؤلف الرحلة خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وهو عصر حرج عرفته بلاد الأندلس، فقد تميز بضعف وتقهقر المسلمين في جميع المجالات وخاصة الجانب العسكري، ففيه كانت بداية السيطرة المسيحية على شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث استطاعوا خلال صراعهم مع المسلمين افتكاك العديد من المدن الإسلامية المهمة مثل: مدينة قرطبة[2] ومرسية[3] وطليطلة[4] وبلنسيه[5] وغيرها من المدن الاستراتيجية، ولم يبق للمسلمين إلاّ مملكة غرناطة المنعزلة بين الوادي الكبير والبحر والتي كانت هي الأخرى تحتضر وتعيش أيامها الأخيرة[6].

كانت غرناطة في عهد حكم أسرة بني الأحمر (630-898هـ/ 1232 - 1492م) تعيش العديد من الاضطرابات، وقد بلغت ذروتها في عهد حُكم "أبي الحسن على بن سعد" الملقب "بو عبدل"(869-890هـ/1464-1485م)، فقد نازعه أخوه "أبو عبد الله محمد الزغل"، حيث استطاع في أواخر القرن التاسع الهجري من الاستقلال بحكم مدينة مالقة[7]، وبعد مدة من الزمن تصالح الأخوان ولكن الأوضاع السياسية لم تستقر لهما فقد ثار ابن أبي الحسن المسمى أبو عبد الله محمد على عمه الزغل، واستطاع الاستيلاء على عرش مملكة غرناطة وافتك من عمه حكمها، فلجأ هذا الأخير واعتصم بمدينة "وادي آش"[8]؛ من خلال هذه الأحداث يمكن القول بأن الفترة التي عاشها القلياصي قد امتازت بالاضطرابات الداخلية أدت إلى تبدد وحدة المسلمين وإضعافهم مما جعلهم لقمة صائغة للصليبيين.

حاول "أبو عبد الله محمد الزغل" عبثا من "وادي آش" الاستنجاد بأمراء بلاد المغرب وإفريقية من أجل نجدته ومساعدته على الرجوع إلى عرشه ومحاربة ابن أخيه المتآمر مع الصليبيين، فبعث سفيره "أبا عبد الله محمد بن الأزرق" إلى سلطان تونس أنذك "أبي عمرو عثمان بن محمد بن أبي فارس" يطلب منه المساعدة والنجدة، ولكن السفير توفي في الطريق في العام

---

[1]- نفسه، ص 52.

[2]- قرطبة: وهي مدينة كبيرة تتوسط بلاد الأندلس، وهي تبعد عن البحر بمسافة حوالي 5 أيام، اتخذها خلفاء الدولة الأموية عاصمتا لهم. (ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص 324).

[3]- مُرْسِيَةُ: وهي مدينة بالأندلس تقع ضمن منطقة تُدْمير، شيدها عبد الرحمن ابن الحكم. (ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص 107).

[4]- طُلَيْطلة، هي مدينة كبيرة بالأندلس، وهي تقع شرق مدينة قرطبة في غربي ثغر الروم، وهي تُعتبر عاصمة ملوك قرطبة. (ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص 39،40).

[5]- بَلَنْسِيَةُ: هي مدينة معروفة بالأندلس، تقع في الجهة الشرقية من مدينتي تدمير وقرطبة، وهي مطلة على البحر وبها أشجار وأنهار كثيرة، استولى عليها الصليبيون في العام 487، وبقوا فيها مدة من الزمن ثم استردها الملثمون في العام 495. (ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.1، ص 490).

[6]- القلياصي، المصدر السابق، ص 17.

[7]- مَالَقَةُ: هي مدينة كبيرة ببلاد الأندلس ولفظها أعجمي، محاطة بالأسوار وأحد أسورها ملتصق بشاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية.(ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص 43).

[8]- القلياصي، المصدر السابق، ص 18.

893هـ/1488م دون إنهاء المهمة، مما جعل مملكة غرناطة عرضة للصليبيين ففي سنة 894هـ/1489م استولوا على بسطة، أما في سنة 895هـ/1490م قام الصليبيون بطرد المسلمين من ثغر المنكب ووادي آش وألمرية، وفي 22 جمادى الأخرة من نفس السنة بدأوا حصارهم الطويل على غرناطة، كُلل بالنجاح واقتحموها في 2 من ربيع الثاني من سنة 897هـ/1492م، وأجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية أو الموت، كما نصّبوا محاكماً للتفتيش وأطلقوا عملية حروب الاسترداد ضد المسلمين[1].

على الرغم من كل هذه الاضطرابات السياسية إلاّ أن الحياة العلمية لم تخب في مملكة غرناطة، فقد امتازت بالنشاط العلمي، وظهر بها العديد من العلماء أمثال: أبي إسحاق إبراهيم بن فتوح(ت:867هـ/1463م) وأبي عبد الله محمد السرقسطي وأبي عبد الله محمد العبدري المواق(ت:897هـ/1492م) وأبي الحسن علي القلياصي -محل الورقة البحثية-، وقد اعتصم بهم الناس عندما اشتد الحصار على غرناطة علهم يجدون حلا للخروج من المأزق[2].

مع ذلك لقد تأثرت الحياة الثقافية والعلمية بالأوضاع السياسية المضطربة في غرناطة، ومن ذلك أن سوق العلم لم تعد رائجة بمسقط رأس القلياصي ولا بالمدن التابعة لها مثل: شوجر وقنالش، وقد كانت الحركة العلمية فيها قبلا مزدهرة والتنافس قائما بين العلماء، مما جعل بالكثير من العلماء الهجرة منها ومن الأندلس قاصدين في ذلك بعض الأنحاء الإسلامية الأمنة، ومن بين المهاجرين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الراعي الغرناطي(ت:855هـ/1480م)، الذي استقر بالقاهرة، كما هاجر أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي قاصدا تلمسان، وهاجر محمد الخير المالقي إلى تونس والتحق بخدمة أميرها محمد بن عثمان سنة 864هـ/1460م، وغيرهم كثير[3]؛ وتبعهم في ذلك القلياصي كما سنوضحه في الأسطر التالية.

III - وصف الرحلة(840-855هـ/1437-1453م): بدأ القلياصي رحلته من الأندلس قاصدا بلاد المشرق في سنة 840هـ/1437م، وأتمها في العام 855هـ/1453م، وقد حفزته عدة أسباب على السفر من بينها رغبته في أداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، واغتنم الوقت في سفره لطلب العلم من الشيوخ والعلماء الذين ذاع صيتهم في زمانه، وقد خصص لهم حيزا كبيرا في مؤلفه، وبذلك تعتبر رحلته دينية علمية بامتياز، امتزجت فيها الرغبة في العبادة والدراسة وحب الاستكشاف، وعند تدوينه لم يكن مقتصرا على وصف المعالم والبلدان وذكر الأحداث التي وقعت له في حينها في أثناء الرحلة، كما كان يفعل أغلب الرحالة، كما أنه لم يقتصر على ذكر شيوخه والكتب والإجازات التي تحصل عليها منهم كما فعل غيره، بل جعلها جامعة بين هذا وذاك، والأمر الجيد أنه تحدث عن المراكز التي مر أو أقام بها منذ خروجه من بسطة إلى أن وصل إلى مكة المكرمة، ابتداء بمرفأ المنكب فوهران فتلمسان بعدها تونس ثم جزيرة جربة قبالة تونس فطرابلس

[1]- نفسه، ص 21،22.

[2]- القلياصي، المصدر السابق، ص 23.

[3]- نفسه، ص 25-27.

الليبية فالإسكندرية فالقاهرة ثم الطور فمدينة الينبع بعدها مدينة جدة، ثم العودة بعد زيارته المدينة المنورة إلى أن وصل إلى مناء ألمرية الأندلسي ثم بسطة[1].

إن كان الغرض من الرحلة هو لأداء مناسك الحج فإن السبب في تدوين الرحلة في كتاب الهدف منه هو التعريف بالمشايخ والعلماء الذين أخذ عنهم القلياصي[2]؛ وبعمله هذا يكون قد حفظ للأجيال الذين يأتون بعده معلومات نفيسة عن العلماء الربانيين المستقرين بين الأندلس وبلاد الحجاز، والمستقرين في كل من تلمسان ووهران ببلاد المغرب الأوسط.

أسلوب القلياصي كان بسيطاً، يغلب عليه التلخيص والإيجاز وعدم الإطناب في الوصف، ولا يغوص في الجزئيات ولا يتوسع في ذكر الأحداث وفي خصائص البلاد التي كان يزورها، ولا يدقق في مميزات حياتها الاجتماعية، وهذا ما جعل عدد صفحات كتاب الرحلة تقل مقارنة بالسنوات الخمسة عشر التي استغرقتها، كما أن الرحلة جاءت خالية من الأمور الغريبة والأسطورية التي كانت ترد في مثيلاتها من الرحلات الأخرى، كما أن تراجم شيوخه الذين بلغوا ثلاثة وثلاثين كانت متفاوتة في الطول، مع ذلك كان يميل إلى الإيجاز وعدم التوسع في ذكر حياتهم، ويركز على ما أخذ عنهم والكتب التي تلقاها عن كل واحد منهم، كما يذكر الكتب التي صححها على مؤلفيها[3].

الرحلة مهمة لمن يريد الترجمة لعلماء القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي لما ورد فيها من أعلام وشيوخ اتصل بهم القلياصي، وذكر أحوالهم وأشار إلى قيمهم العلمية وما يدرسون من ضروب المعرفة وأنواع الكتب، وقد اعتمد على ما ورد في هذه الرحلة كل من المقري صاحب كتاب: "نفح الطيب"، وأحمد باب التنبكتي صاحب مؤلف: "نيل الابتهاج"، وصاحب "كفاية المحتاج"، وابن مريم في كتابه "البستان"، ومخلوف صاحب "شجرة النور الزكية"، وهم يذكرونها تارة باسم الرحلة وتارة باسم الفهرست[4]؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى أهميتها في ذلك الوقت العصيب الذي كانت تمر به بلاد الغرب الإسلامي بصفة عامة والأندلس بصفة خاصة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن رحلة تعد وثيقة تاريخية مهمة وثمينة تصور لنا نشاط العلماء بالأندلس وبلاد المغرب ومصر والحجاز في ذلك العصر، كما تعطينا لمحة واضحة عن طرق وأساليب تدريسهم ومناهجهم في التعليم، والمؤلفات التي دونوها وتداولوها فيما بينهم، كما تُعطينا صورة جميلة عن آدابهم عند تلقي العلوم، وتفاوت مراتبهم في فنون المعرفة وسعيهم للحصول على الإجازة، ومكانتهم في مجتمعهم، خاصة أن العصر الذي عاش فيه القلياصي كان عصر الانحطاط السياسي للأندلس[5].

[1]- نفسه، ص 70.
[2]- نفسه، ص 82.
[3]- القلياصي، المصدر السابق، ص 70،71.
[4]- نفسه، ص 72.
[5]- نفسه، ص 73.

IV – أخذه العلم على علماء مدينة تلمسان ومدينة وهران:

1– تلمسان: وصل القلياصي إلى مدينة تلمسان قادما من الأندلس عبد مدينة وهران في العام 840هـ/1436-1437م، وقد انبهر بما حباها الله من جمال وخيرات، وفقد حباها الله بالأنهار الدائمة السيلان، وكثرة الحدائق والأشجار الباسقة، والمثمرة، ويتميز مجتمعها فالفضل والجود والكرم، ويتحلون بالفطنة والكياسة، الطباع الإسلامية الحميدة[1].

تلمسان التي حل بها القلياصي كانت مدينة العلم والعلماء تتميز بنشاطها العلمي والثقافي، وقال وأدرك المؤلف فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، والحركة العلمية فيها نشطة جدا، يكثر فيها المدارس والطلاب الذين يسعون إلى تحصيله، وهممهم عالية حيث يتميزون بالجد والاجتهاد، وهذا الأمر شجع القلياصي على الاشتغال بطلب العلم أشهر علماء تلمسان، المشهود لهم في مجال الأدب والعلوم الأخرى[2]؛ وسنذكرهم حسب الأهمية كما يلي:

1-1– علماء تلمسان الذين أخذ عنهم العلم: ذكر أحد عشر عالما وشيخا أخذ العلم عنهم في مدينة تلمسان أبرزهم:

أ. **محمد بن مرزوق(766–842هـ/1364–1438م):** هو الشيخ العالم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، أبو عبد الله، الملقب والمشهور باسم "الحفيد"، وهو فقيه المذهب المالكي بدون منازع، كان عالما بالنحو حيث نظم الكثير من الشعر، إضافة إلى ذلك يُعتبر عالما بالأصول، وحافظ للحديث الشريف، ومفسر متميز، ولد "محمد" بمدينة تلمسان عاصمة الدولة الزّيانيّة وبها أخذ العلم عن والده "شمس الدين أبو عبد الله"[3]، كما أخذ العلم عن عمه وعن سعيد العقباني وغيرهم، رحل إلى كل من: فاس وتونس والقاهرة لطلب العلم وبهذه الأخيرة التقى بالعلامة ابن خلدون والفيروز آبادي والنويري صاحب كتاب "النهاية" وأخذ عنهم الكثير من العلوم، وفي العام

[1]– نفسه، ص 94،95.

[2]– القلياصي، المصدر السابق، ص 95.

[3]– وهو فقيه من كبار علماء المذهب المالكي في بلاد المغرب في عصره، وقد اشتهر بعدة ألقب من بينها: "الخطيب" و"الجد" و"الرئيس"، ولد بمدينة تلمسان، وفي شبابه سافر مع والده إلى مكة المكرمة في سنة 718هـ/1318م فأدى مناسك الحج وبقى هناك مدة، بعدها ترك والده ورجع وحده إلى تلمسان عبر بلاد الشام ثم بلاد الكنانة مصر وأخذ العلم عن بعض علمائها، ووصل إلى مسقط رأسه في العام 733هـ/1333م، وأقام علاقات طيبة مع السلطان أبو الحسن فعينه على خطابة مسجد العباد وبعدها عينه خطيبا على جميع مساجد المغرب، كما كلفه بعدة مهام دبلوماسية حيث بعثه كرسول له في عدة مرات إلى بلاد الأندلس وإفريقية، بعدها سافر واستقر بمدينة غرناطة حيث تولى الخطابة في "جامع الحمراء"؛ وفي العام 754هـ/1353م استدعاه سلطان تلمسان "أبو عنان" وجعله ضمن حاشيته الخاصة، ثم أرسله في مهمة خاصة إلى تونس ولكنه فشكل في أداء المهمة، فقد قبض عليه سلطان تونس وسجنه مدة من الزمن ثم أطلق صراحه، وفي أواخر سنة 762هـ/1361م قام الوزير عمر بن عبد الله بسجنه مرة ثانية وبعدها أفرج عليه، فسافرة مجددا إلى تونس وترأس الخطابة في جامع الموحّدي، وبحلول سنة 770هـ/1369م سافر إلى القاهرة واستقر بها، واتصل بالسلطان الأشرف فأكرمه واستعمله على الوظائف العلمية إلى أن توفي في شهر ربيع الأول ودفن بمقبرة القرافة الصغرى.(ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت–لبنان، ط.2، 1980م، ص 290،289)

790هـ/1388م أدى مناسك الحج رفقة الإمام ابن عرفة وحج ثانية في العام 819هـ/1416م فلقى الإمام ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه العلم[1]؛ لذلك يُعتبر من بين أهم علماء تلمسان في ذلك الوقت

وقد خص القلياصي ابن مرزوق بحيز وافر من كتابه، قائلا: "وأولاهم في الذكر والتقدير، الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا: سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي رضي الله عنه، حل كنف العلم والعلاء، وجل قدره في الجملة الفضلاء، قطع الليالي ساهرا، وقطف من العلم أزاهرا، فأثمر وأورق، وغرب وشرق، حتى توغل في فنون العلم واستغرق، إلى أن طلع إلى الأبصار هلالا، لأن المغرب مطلعه، وسما في النفوس موضعه وموقعه، فلا عليك أن ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من إلقائه، لقي الشيوخ الأكابر، وبقي حمده متعرفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المحابر"[2].

يعطينا القلياصي معلومات مهمة عن هذا العالم الفذ، حيث وصفه برجل الدنيا والآخرة، فقد صرف أغلب وقته في طاعة الله ليلا ونهارا، فكان يُقسم يومه بين إقامة الصلاة وقراءة القرآن الكريم والتدريس والإفتاء كما يخصص الجزء من وقته للكتابة والتصنيف، وقد أخذ عنه صاحب الرحلة العلم ودرس على يده بعض الكتب منها: ربع من إعراب القرآن الكريم وصحيح البخاري والشاطبيتين، وكتابه الذي ألفه في الفرائض، وأواخر كتاب الإيضاح للفارسي، وجزء من شرح التسهيل لابن مالك، وكتاب ابن الحاجب الفرعي، والتلقين وبعض الرسالة وأكثر التسهيل لابن مالك، وكتاب الألفية والكفاية وكتاب ابن الصلاح في علم الحديث، وكتاب المنهاج للغزالي، وكتب أخرى كثيرة[3].

خلف الشيخ محمد بن مرزوق الحفيد العديد من المؤلفات والآثار منها: المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، في العروض والقوافي، وكتاب: إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم، وكتاب: "المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطسية"، و"المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج"، أجاب به ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية، وله كتاب "الروضة" وهو رجز في علم الحديث، و"مختصر الحديق" وهي رجز في علم الحديث اختصر فيه ألفيه العراقي، و"المقنع الشافي" وهي أرجوزة في الميقات نظمها في نحو 1800 بيت، و"أرجوزة الفية في محاذاة الشاطبية" و"أرجوزة" نظم بها تلخيص المفتاح، و"أرجوزة" نظم بها تلخيص ابن البناء، وأخرى نظم بها جمل الخونجي، وله كتاب "نهاية الأمل في شرح الجمل"، في المنطق، وأرجو زر اختصر بها ألفية ابن مالك، واغتنام الفرصة

[1]- نفسه، ص 290،291.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص 96.

[3]- القلياصي، المصدر السابق، ص 97.

في محادثة عالم قفصة" في الفقه والتفسير، وله "نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين" و"الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي" ...وغيرها كثير[1].

توفي الشيخ في وقت العصر من يوم الخميس 14 شعبان عام 842هـ/ 30 جانفي 1439م، وصلي عليه بالجامع الأعظم في اليوم الموالي بعد صلاة الجمعة، ودفن في مقبرة الروضة غربي المسجد، وقد حضر الجنازة السلطان بنفسه، وكانت جنازة مهيبة حضرها عدد غفير من أهل مدينة تلمسان ومدن أخرى[2].

ب. **عيسى الرتيمي(عيسى أمزيان)**: أخذ القلياصي العلم كذلك على الشيخ الفقيه العلم في الفرائض والعدد، الذي لايشببه أحد في عصره أبو مهدي عيسى الرتيمي(أمزيان)، الشهير بأم الزيان، حيث درس عنه "كتاب الحوفي"، فهو ولم يرى أعلم منه بكتاب الحوفي من بين الذين أخذت عنهم هذا الكتاب، لذلك لازم الشيخ لم يغادره إلى حلقة الشيخ سعيد العقباني[3] إلا بعد أن قرأ جميع الحوفي ست مرات كاملة، وختمه مع غيره نحو ثمانية عشرة ختمة[4].

كان لعيسى أمزيان طريقة جيدة في التعليم، ويمتاز بخلق رفيع مع طلبته، حريص على نقل العلم إليهم وتعليمهم الشيء الكثير، فكان يقول للقلصادي: لو كان في مقدرتي أن أعلمك كل ما أعرفه من علوم في وقت واحد لما تأخرت عن ذلك، وبذلك تتفادى مشقة الذهاب والرجوع إلينا في كل مرة فهو يُكلفك الشيء الكثير من الوقت والجهد والمال، ولما توفي الشيخ دفن بقرب الولي الصالح الحلوي[5]؛ خارج باب علي بمدينة تلمسان.

ت. **محمد الشريف**: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي، الشريف الحسني –ويعرف بالعلوييني– نسبة إلى قرية من قرى مدينة تلمسان، حيث ولد بها في العام 710هـ/1310م ونشأ بها، وقرأ القرآن الكريم على عدة شيوخها منهم: أبو زيد بن الإمام يعقوب، وأخيه أبي موسى، والإمام أبي محمد المجاصي، وأبي موسى عمران المشدَّالي، وعندما أصبح في سن 11 سنة من عمره أخذ العلم عن الشيخ الأبلي، حيث كان من أوائل طلبته، بعد ذلك ارتحل في العام 740هـ/1340م فتتلمذ على يد الشيخ ابن عبد السلام، حتى أصبح من النجباء وكان الشيخ

[1]– عادل نويهض، المرجع السابق، ص 291،292.

[2]– القلياصي، المصدر السابق، ص 97،98.

[3]– هو سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني–قرية بالأندلس– ولد بالتلمسان عام 711هـ، إمامها وعلامتها، وهو فقيه في المذهب المالكي متفنن في العلوم، سمع عن ابي الإمام وتفقه بهما، وأخذ الأصول عن الأبلّي، وقرأ الفرائض على الحافظ السطي، ولي قضاء الجماعة ببجاية في فترة حكم أبي عنان والعلماء بها كثر، وولي أيضاً قضاء مدينة تلمسان، وسلا ومراكش، وقد تقلد منصب القضاء مدة 40 سنة، وكان يقال له رئيس العقلاء، ألف عدة كتب منها: شرح الحوفي وشرح جمل الخونجي وتلخيص ابن البنا وقصيدة ابن ياسين في الجبر والمقابلة والعقيدة البرهانية وتفسير سورة الفتح، توفي بتلمسان 811هـ.(ينظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، ط.2، دار الكتاب، طرابلس– ليبيا، 2000م، ص 189،190).

[4]– القلصادي، المصدر السابق، ص 98.

[5]– نفسه، ص 99.

يقدمه ويُكرمه بصدارة مجلسه، وبعدها أصبح مؤهلا للتدريس، فقد كان عالماً بالفقه المالكي وأصوله، وبالحديث وعلومه، وأعلم علماء عصره باللغة العربية، كما كان واسع المعرفة بالشعر وأخبار العرب، ميالا إلى النظر، متكلما، جامعا للعلوم القديمة والحديثة، والعلوم الرياضية وله اليد الطولي في الخلافات، وكان بارعا في الهندسة والهيئة والحساب، انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في عصره، وشهد له العلماء بأنه وصل إلى درجة الاجتهاد فأصبح مشهورا في عاصر السلطان أبا حمو يوسف بن عبد الرحمن، الذي احتضنه وزوجه إحدى بناته، وبنى له مدرسة خاصة كان يدرس بها الطلاب، وعاصر من العلماء ابن مرزوق الخطيب ولسان الدين بن الخطيب الأندلسي، وأخذ العلم عنه: أبو محد ابنه وعبد الله، والإمام الشاطبي، وابن زمرك، وابراهيم الثغري، وابن خلدون، وابن عتاب وغيره[1].

كان الشيخ يتميز بخصال راقية، منها جمال المنظر، والوقار والهيبة، وقوة النفس، والصدق، والكرم مع كثرة تمسكه بالواجبات الشرعية، وقد كان اسع الشهرة في بلاد المغرب قاطبة، جاءه العلماء من كل الجهات، ومن لم يستطيع السفر إليه بعث إليه رسائل ليستفتيه في المشاكل التي واجهته، لأنه كان قوي الترجيح في المسائل الاختلافية، مع كل ذلك كان الشيخ لا يعتني بتأليف الكتب ولعله كان منشغلا بتكوين الرجال، إذ كانت عنايته بالإقراء أكثر، ونظرا لعلمه والفر واطلاعه الواسع فقد وصفه السلطان المريني أبو عنان بن أبي الحسن المريني(749-759هـ/1348-1349م): وكأن العلم يخرج من منابت شعره[2]؛ لذا ضمه إلي مجلسه وأخذه معه إلى مدينة فاس.

عندما قصده القلياصي كان الشيخ إماما لمسجد الخراطين، وقد درس عليه كتاب "تلخيص المفتاح"، وبعض "التسهيل" لابن مالك، و"مفتاح الأصول" للسيد الشريف التلمساني السابق ذكره، كما حضر معه شرح جزء من "الألفية" وبعض "المرادي"، كما درس عليه كتاب "الجمل" للزجاجي، وكتاب "التنقيحات" للقرافي. وتوفي في العام 847هـ/1443-1444م، ودفن في المقبرة الموجود خارج باب الجياد[3]. جنوب مدينة تلمسان.

ث. **يوسف الزيدوري:** يُعتبر أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل الشهير بالزيدوري، من كبار فقهاء تلمسان المتصوفة في عصره، تخصص في علوم الرياضيات، اتصل به القلياصي ودرس على يده عدة كتب مهمة زادت في تكوينه في المجال الحساب، نذكر منها: كتب العالم المشهور "أبو أحمد بم محمد بن عثمان الأزدي ابن البناء المراكشي (ت: 721هـ/1321م)" كـ: التلخيص والمقابلة ورفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب، وكذلك كتاب "البرهان في علوم القرآن" الذي ألفه "أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المصري(ت:430هـ/1039م)"، كما درس عليه كتاب "التصحيح والكسور"، ومبادئ علم الجبر، وكما درس عليه التلمسانية والمقالات وكتاب "الجمل" لمؤلفه الشهير

[1]- أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي الشريف التلمساني: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، مكتبة الرشاد، القاهرة، ص. ح.

[22]- أبو عبد الله الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص ص، ح-ط.

[3]- القلياصي، المصدر السابق، ص 100.

أفضل الدين الخونجي(ت:646هـ/1248م). توفي الزيدوري في الوباء الذي أصاب مدينة تلمسان في سنة 845هـ/1441-1442م، ودفن بالمقبرة بخارج باب كشوط[1].

ج. **محمد بن النجار**: هو العلامة الفقيه الأصولي أبو عبد الله محمد بن النجار من شيوخ أبي الحسن القلياصي، درس عليه عدة كتب في الفقه المالكي منها: "مختصر الشيخ خليل"، و"المستصفى في علوم الفقه" لأبي حامد محمد الغزالي(ت:505هـ/1112م)، وكتاب "مختصر ابن الحاجب" (ت:570هـ/1249م)، وكذلك كتاب "تلخيص المفتاح في علم البلاغة" لمحمد بن عبد الرحمن القزويني(ت:739هـ/1339م)، كما درس عليه كتاب "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لعي بن أحمد الواحدي أبو الحسن(ت: 468هـ/1076م)، كما أخذ عنه بعض كتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" لإمام الحرمين "أب المعالي عبد الملك الجويني"(ت: 478هـ/1085م)، ودرس عليه كتاب "منهاج الوصول إلى علم الأصول" لعبد الله بن عمر البيضاوي من مدينة شيراز(ت:685هـ/1286م)، كما درس عليه كتاب "العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية" للإمام أبي عمرو عثمان السلالجي(ت: 574هـ/1178م)، وكتاب "الجُمل في المنطق" لصاحبه محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله أفضل الدين(ت: 646هـ/1248م)، وشيئا من الكتاب الشهير "المدونة الكبرى" لعبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون(ت:240هـ/854م)؛ وتوفي بن النجار بمدينة تلمسان في العام 846هـ/1442-1443م، ودفن بمقبرته من بستانه خارج "باب الجياد" الواقع في الجهة الجنوبية من المدينة[2].

ح. **أحمد بن زاغو(782-845هـ/1380-1441م)**: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشهير بابن زاغو، المغراوي التلمساني، من علماء تلمسان الصوفية، ومفسر ومحدث وأصولي منطقي، أحد تلامذة أبي عثمان سعيد العقباني وأبي يحي الشريف وغيرهما، أخذ عنه مجموعة من العلماء منهم ابن زكري والحافظ التنسي وأبو الحسن القلصادي[3]؛ ألف أحمد بن زاغو عدة مؤلفات منها: التفسير وتفسير الفاتحة، والتذييل عليه في ختم التفسير، وشرح التلمسانية في الفرائض، وله فتاوى عدة في مختلف العلوم، نقل جملة منها في المازونية والمعيار، وكتاب "منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح"، وشرح التلخيص لوالده، وحِكم ابن عطاء الله السكندري وشرحها لابن عباد، ولطائف المنن، وتأليف أبي يحي الشريف على المغفرة، والاحياء ومختصره للبلالي، وأقضية مختصر خليل لآخره، وابن الحاجب الفرعي وبعض الأصلي[4].

[1]- نفسه، ص 100،101.

[2]- القلياصي، المصدر السابق، ص 102.

[3]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 156.

[4]- أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 118،119.

كان أعلم العلماء في وقته في علم التفسير، وأفصحهم في اللغة العربية، وهو على مذهب الإمام مالك، وقد تفوق على علماء عصره في دلائل السبل والمسالك، وكذلك في الحديث والأصول وكانت له قد راسخة في علم التصوف، مع الفهم السليم، فقد كان متزهدا في الدنيا كثير العبادة، ولكن عند يبدأ درسه يسكت الجميع لسماع ما يقول، وقد أكرمه الله تعالى بتلاوة كتابه الشريف، التزم طيلة وقته إما بقراءة العلم أو تصنيف الكتب أو تدريس الطلبة، مع ذلك كان يؤثر الخلوة بنفسه عن الناس[1].

اغتم القلياصي وجوده بمدينة تلمسان بأخذ العلم عليه والتماس بركته، فلازمه وتردد على مجالسه عدة مرات، واغتنم منها فوائد كثيرة، حتى حصل منه من العلوم ما لم يجده عند غيره، وبالمقابل قربه الشيخ منه لما رأى منه حرصه على التحصيل فجعله كأحد أبنائه وأصحابه، فكان يحضر معه الدروس التي كان يُلقيها في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف فكان يُردس لهم علوم أخرى مثل: الأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة، وكان يُخصص يومي الخميس والجمعة لتدريس علم التصوف وتصحيح كتبه التي ألفها[2]؛ درس القلصادي على شيخه في المدة التي لازمها فيها عدة كتب مهمة مثل: صحيح البخاري، وأول كتاب مسلم إلى باب الوصايا، كما درس عليه جميع مؤلفاته التي ذكرناها سابق، وبعض القصد إلى الله، وكذلك كتاب الإحياء للغزالي[3].

كان الشيخ يحترم الوقت كثيراً فضبط أوقاته بحيث خصص جزأه للعبادة وأزمنة معينة للتدريس والإفادة، وكانت أقواله تطابق أفعاله اقتداء بالسلف الصالح رضون الله عليهم، وقد توفي عند وقت العصر من يوم الخميس 14 من ربيع الأول عام 845هـ/ 2 أوت 1441م، وكان عمره 63 سنة، في زمن الوباء وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع الأعظم، ودفن بخارج مدينة تلمسان بطريق العباد في موضع بالقرب من عين ونزوته، وحضر جنازته خلق عظيم من الخاصة والعامة، وقد تألم القلياصي لفراقه فقال: "وأما أنا فوجدت لفراقه ما يجده المبعد من مرامه، أو المرضع عن فطامه..."[4].

خ. **القاسم العقباني(768-845هـ/1368-1450م)**: هو قاض وحافظ ومحدّث تلمساني، من كبار فقهاء الملكية في عصره، بلغ درجة الاجتهاد، اسمه الكامل: القاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني، يُعرف بـ "أبو القاسم" و"أبو الفضل"، نشأ بمدينة تلمسان وأخذ العلم عن شيوخها، ثم ولي قضاءها، واشتغل بالتدريس إلى أن توفي بها[5].

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص 103.
[2]- نفسه، ص 103،104.
[3]- القلياصي، المصدر السابق، ص 103،104.
[4]- نفسه، ص 104، 106.
[5]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 237.

رحل العقباني إلى الحج في العام 830هـ/1427م وحضر بمصر مجلس إملاء ابن حجر العسقلاني، واستجازه فأجازه[1]، وصفه تلميذه القلياصي بأنه لا نظير له من بين العلماء، أفنى عمره في طلب العلم فعاز منه بحظ وافر، فقد وصل إلى درجة الاجتهاد في العلوم، يتصف بالأبهة والجمال مصاحبا للعلماء. انفرد من بين العلماء بعلمي المعقول والمنقول، وأتقن علمي اللسان والبيان، تولى مجلس القضاء بتلمسان وهو صغير في السنة، ولم يشغله ذلك المنصب على تدريس العلوم التي حباه بها الله تعالى، فأفاد بها سكان مدينة تلمسان وتخرج على يده الكثير من العلماء الكبار[2].

لازمه القلياصي وأخذ عنه العلم بعد وفاة الشيخ سيدي أحمد بن زاغو إلى أن ارتحلت من تلمسان إلى الحجاز، ولما عاد عاود ملازمة مجلسه وأخذ عنه الشيء الكثير[3]؛ كانت أخلاق الشيخ العقباني رفيعة قل أن يرى مثلها، توفي في شهر ذي القعدة من عام 845هـ/1450م أوائل جانفي 1451م، وصلي عليه صلاة الجنازة بالجامع الأعظم، ودفن بغربيه بالروضة، قرب الشيخ أبي عبد الله محمد بن مرزوق، وقد حضر جنازته خلق كثير من الخاصة والعامة وعلى رأسهم سلطان تلمسان وحاشيته[4].

د. **بعض العلماء الأخرين:** حضر القلصادي في رحلته إلى مدينة تلمسان إلى مجالس ودروس بعض العلماء الأخرين دون أن يراجعهم في المؤلفات والكتب، منهم الشيخ الصالح الحسن بن مخلوف الراشدي الأصل، القاطن بتلمسان والشهير بأبركان – ومعناها بالبربرية الأسود-(ت: 868هـ/1464م)[5]، أخذ هذا الأخير العلم عن الإمام إبراهيم المصمودي والإمام ابن مرزوق الحفيد وأخذ عنه الحافظ التنسي وعلي التالوتي وأخوه الإمام الشيخ السنوسي ولازمه كثيرا وانتفع به وكان يقول: "رأيت المشائخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان، كان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يضحك إلا تبسما، وكان رحيما بالمؤمنين شفيقا عليهم يفرح لفرحهم ويتأسف على ما يسؤهم، له سبحة لا تفارقه غالبا ..كان لا يفتر عن ذكر الله تعالي طرفة عين وكان له قبول عظيم من العامة والخاصة مثابراً على رسالة ابن أبي زيد..."[6].

---

[1]- نفسه، ص 237.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص 106،107.

[3]- نفسه، ص 107.

[4]- القلياصي، المصدر السابق، ص 107.

[5]- نفسه، ص 108،109.

[6]- أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المدوني التلمساني: البستان في ذكر الولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: ابن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص 74.

كما حضر دروس الشيخ أبو الفضل الشهير بابن الإمام[1]، وهو في مكانة الإمام ابن مرزوق الحفيد، فهو من العلماء المالكية الكبار الذين ذاعت شهرته في الأصقاع، فقد سافر في العام 810هـ/1407م واستقر مدة شهر في تونس ثم واصل مسيره إلى القاهرة وذهب إلى مكة المكرمة وأدى مناسك الحج ثم عاد مرة ثانية إلى مصر ولم يستقر فيها مدة طويلة حيث سافر في العام 812هـ/1409م إلى بلاد الشام لزيارة "بيت المقدس"، ولما وصل إلى مدينة دمشق جاءه الناس وازدحموا عليه من كل الجهات ونهلوا من علمه الوافر الذي حباه به الله تعالى، فقد كان فريد في علمه يجمع بين العلوم العقلية كالطب، والنقلية كالتصوف والأدب والشعر والبيان، وهو أول من جلب إلى بلاد المغرب كتاب "الشامل في فقه الإمام مالك" للمؤلف بهرام تاج الدين السلمي الدّميري(ت:805هـ/1403م)، كما أنه يُعد هو الأول الذي "شرح المختصر"؛ توفي في العام 845هـ/1441م[2]؛ حظر القلياصي كذلك دروس الفقيه أبو عبد الله محمد بن العباس التلمساني(ت:920هـ/1603م)، وسليمان بن الحسن البوزيدي التلمساني "أبو الربيع" (ت: 845هـ/1441م) العالم بمذهب الإمام مالك[3].

عاد القلياصي إلى مدينة تلمسان مرة ثانية بعد رجوعه من أدائه مناسك الحج في يوم الأربعاء 10 ربيع الأول من العام 855هـ /21 أفريل 1451م، واستقر بها مدة من الزمن[4]؛ ولم يخبرنا عن العلماء الذين زارهم وأخذ عنهم في هذه المدة الثانية التي قضاها في المدينة.

2-1 – نشاطه التدريسي بمدينة تلمسان: أخذت مدينة تلمسان الحظ الأوفر من إقامة القلصادي خلال رحلته العلمية، ولا غرابة في ذلك فقد وجد من علمائها وسكانها وطلبتها الترحاب والمودة والتقدير، وطيلة المدة التي قضاها بمدينة تلمسان والتي دامت حوالي ثمان سنوات وسبعة أشهر التي قضاها بعد عودته من الحج في طريقه إلى الأندلس،لم يقتصر هذا الأخير على أخذ العلم عن علمائها وشيوخها فقط، بل صرف الجزء الكبير من وقته لتأليف الكتب، مغتنما في ذلك ازدها الحياة العلمية في المدينة والمكتبات الكثير الموجودة بها، وقد توج مجهوده البحثي بتأليف كتابه المسمى "التبصرة في الغبار"، كما شرح "أرجوزة الشرّان" في الفرائض، وشرح "أرجوزة التلمسانية في الفرائض" للتلمساني(ت:699هـ/1300م) في مجلد كامل، كما "شرح مختصر الحوفي" لأبو عبد الله محمد بن سليمان السّطّي(ت:750هـ/1349م) في مجلدين[5].

تفرغ القلياصي بعد طلبه للعلم إلى التدريس بمدينة تلمسان، حيث كان يعقد حلقات التدريس ويتولى الإقراء وتحفيظ القرآن الكريم، وكان عدد الطلبته كُثر يتزاحمون عليه لأخذ القراءات والاستفادة من علمه الوافر، وكان يغتنم تلك المجالس لنشر

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص. 108،109.
[2]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 220،221.
[3]- القلصادي، المصدر السابق، ص 108،109.
[4]- القلياصي، المصدر السابق، ص 161.
[5]- إبراهيم بم حسن البقاعى، ص 100.

فكره ويُدرس الكتب الكثيرة التي صنفها بنفسه. ومن الذين أخذوا علم القراءات عليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني(ت:895هـ/1490م)، الولي الصالح والفقيه الشهير، الذي ألف كتب عديدة في علم الكلام، وممن قرأ عليه كذلك أبو عبد الله محمد الملالي(ت: 895هـ/1490م)[1]؛ وبذلك ساهم صاحب الرحلة بقسط وافر في تعليم طلبة مدينة تلمسان وشارك في إثراء الحياة العلمية بها.

2- مدينة وهران: ارتحل القلياصي في العام 848هـ/1444م من مدينة تلمسان إلى مدينة وهران واستقر بها عند بعض أحبابه وإخوانه، منهم: إمام الجامع الأعظم أبو عثمان سعد الشلوفي، -أصله من قندية بأرض شاطبة شرقي الأندلس-، كما أقام مدة من الزمن عند الشيخ إبراهيم بن محمد بن علي التازي[2]، نزيل مدينة وهران، وهو إمام عالم الولي الورع الزاهد الصالح الذي يُعتبر من أقطاب الصوفية، سافر إلى مكة المكرمة وأخذ العلم عن كبير محدثيها قاضي القضاة المالكية الشريف تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، فقد درس عليه الكثير من العلوم منها الحديث والرقائق، كما سافر إلى المدينة وأخذ العلم على مجموعة من شيوخها الأجلاء منهم: الإمام أبو الفتح بن أبي بكر القرشي، ثم عاد إلى بلاد المغرب واستقر فترة في تونس وأخذ العلم عن شيخ الإسلام الحافظ عبد الله العبدوسي، وبعدها سافر إلى مدينة العلم والعلماء تلمسان وأخذ العلم عن العلامة محمد ابن مرزوق الحفيد، وبعدها قصد مدينة وهران لزيارة الشيخ لسان الحق الهواري[3]؛ واستقر بالمدينة

يُعتبر التازي العلماء المتصوفة، عالما في علوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، حافظاً لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان متضلعا بالفقه وأصوله، فهو متفقها في أصول الدين، وكان مشهورا بالفهم الجيد والاجتهاد، لا نظير له في كمال العقل، ومتانة الحكم، ويُعتبر من العلماء الذين يتسمون بحسن الخلق، موقرا للجميع[4].

مكث القلياصي مدة أخرى عند خليفة محمد الهواري[5]، أبو عبد الله، الذي كرس جل وقته في السفر مغربا ومشرقا من أجل طلب العلم، فقد سافر إلى مدينة فاس وأخذ العلم عن العالم موسى العبدوسي والقباب، ثم سافر إلى مدينة بجاية واخذ العلم عن أحمد ابن إدريس وعبد الرحمن الوفليسي، بعدها سافر إلى مصر وأخذ عن القرافي وغيرهم ثم سافر لأداء مناسك الحج، جاور مدة بالحرم الشريف بين مكة والمدينة ثم ارتحل إلى بيت المقدس لمجاورتها والصلاة بها بعدها ذهب إلى بلاد الشام وزار الجامع الأموي، عاد بعدها إلى وهران واستقر بها وانتفع به الطلبة والعلماء، وتوفي في سنة 843هـ/1448م[6].

[1]- القلياصي، المصدر السابق، ص 33.
[2]- نفسه، ص 110-112.
[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 58.
[4]- أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص 60.
[5]- القلياصي، المصدر السابق، ص 110-112.
[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 228.

مكث القلياصي مدة أخرى عند كل من: الفقيه يحي الهنيني، وعند الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن قاسم الشهير بالحداد، وأقام بعض الوقت عند الفقيه الإمام أبو الربيع سليمان الحميدي، ثم سافر إلى تونس ونها إلى بلاد المشرق[1]. عاد بعدها إلى مدينة وهران في 10 خلت من شهر شعبان المحرم سنة 845هـ/ 18 سبتمر 1450م، ولم يمكث بها بل قصد مدينة تلمسان مجدداً لزيارة بعض علمائها، ثم عاد إلى وهران في يوم الأربعاء 19 من ربيع الأول عام 855هـ/ 21 أفريل 1451م ووصلها يوم الجمعة 23 أفريل 1451م وركب منها في نفس اليوم إلى ألمرية بالأندلس[2].

V – **الخاتمة:** تعتبر رحلة القلياصي وثيقة تاريخية مهمة ومن خلال دراستها توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط التالية:

– تعد رحلة القلياصي من أهم الرحلات العلمية التي سلطت الضوء على العلاقات العلمية بين الأندلس والمغرب الأوسط(الجزائر) في العصر الوسيط، في الوقت الذي كانت فيه الأمة تشهد تقهقراً ملحوظاً خاصة على المستوى السياسي والعسكري، مع ذلك بقت الحياة الحلمية والثقافية نشطة ومزدهرة، فقد أعطتنا الرحلة فكرة واضحة عن حركة علمية كبيرة في مدينتي تلمسان ووهران، فقد زخرت بعديد الموائد العلمية التي كان يقدمها شيوخها الأجلاء في مختلف العلوم، وكانت تُشد إليهم الرحال من كل الأقطار ولا سيما من بلاد الأندلس.

– امتاز القلياصي بخصال المسلم الطالب للعلم في ظروف صعبة كانت تمر بها الأندلس، ولم يقتصر على طلب نوع واحد من العلوم بل نوع بين النقلية منها والعقلية، لذلك اكتسب رصيد واسع من المعرفة وخاصة العقلية منها، هذا ما جعله يمتاز بالموسوعية والتبحر قلما نجده في علماء أخرين.

– من خلال الرحلة نستخلص مدى الارتباط الوثيق بين المغرب الأوسط والأندلس، وخاصة في المجال العلمي، فنفس المقررات كانت تُدرس في كلى المنطقتين، وبخاصة كتب المالكية.

– تُعتبر مدينة تلمسان مركزا حضاريا وعلميا بدون منازع في فترة رحلة القلياصي فقد مَكث فيها أكثر من مكوثه في مدينة وهران، ذلك لكثرة علمائها، وقد اغتنم صاحب الرحلة طيلة مدة مكوثه مما يزخر به هؤلاء، وقد ترك في كتابه معلومات قيمة وثمينة أصبحت مادة يتناقلها العلماء من بعده في الترجمة لعلماء تلمسان، مثل: ابن مريم في البستان وأحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج وغيرهم كثير.

– لم يقتصر القلياصي بمدينة تلمسان على طلب العلم عن علمائها بل تصد كذلك للتدريس ونشر العلم، فأصبح له الكثير من الطلبة وكون له أتباع فيها، ومن ثم نشطت العلاقات العلمية بين الأندلس وتلمسان.

[1]– القلياصي، المصدر السابق، ص 110-112.

[2]– نفسه، ص 161.

VI – المراجع:

1. ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الشريف المليتي المدوني التلمساني: البستان في ذكر الولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: ابن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م

2. البقاعي إبراهيم بن حسن (809-885هـ): عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق: حسن حبشي، ج.4، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1422هـ/2011م

3. التنبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، ط.2، دار الكتاب، طرابلس- ليبيا، 2000م

4. القلياصي أبي الحسن على الأندلسي(ت:891هـ): رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م

5. المالكي أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، مكتبة الرشاد، القاهرة.

6. نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط.2، 1400هـ/1980م

7. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج.1، دار صادر، بيروت- لبنان، 1397هـ/1977م